تحديات فهم الخطاب الفني في الفن المعاصر

Challenges in Understanding Artistic Discourse in Contemporary Art

د. حمزه تريكي
كلية الفنون والثقافة، جامعة قسنطينة 03/ صالح بوبنيدر،
hamza.triki@univ-constantine3.dz

- ملخص

يطرح فهم الخطاب الفني في الفن المعاصر إشكالية جوهرية تتعلق بتعدد المعاني واختلاف التأويلات بين الفنان والمتلقي، مما يثير تساؤلات حول فعالية هذا الفن في تحقيق التواصل. في ظل التعددية الأسلوبية والرمزية المفرطة التي تميز الأعمال المعاصرة، يصبح من الصعب وجود إطار موحد للفهم، مما يؤدي إلى تباينات كبيرة في تفسير الرسائل الفنية. بالإضافة إلى ذلك، فإن غياب السرد التقليدي والتداخل مع قضايا اجتماعية وسياسية معقدة يزيد من صعوبة الوصول إلى فهم مشترك. وبالتالي، تتجلى الإشكالية في كيفية بناء جسور للتواصل الفني توازن بين حرية التعبير الفني وقدرة الجمهور على استيعاب هذه الأعمال بما يتجاوز الحواجز الثقافية والمعرفية.

- كلمات مفتاحية: إشكاليات، تلقي،خطاب فني، فن معاصر.

- Abstract

Understanding the artistic discourse in contemporary art poses a fundamental problem related to the multiplicity of meanings and the diversity of interpretations between the artist and the recipient, raising questions about the effectiveness of this art in achieving communication. In light of the stylistic pluralism and excessive symbolism that characterize contemporary works, it becomes difficult to find a unified framework for understanding, leading to significant variations in the interpretation of artistic messages. Additionally, the absence of traditional narrative and the entanglement with complex social and political issues

further complicate the process of reaching a shared understanding. Consequently, the problem lies in how to build bridges for artistic communication that balance freedom of artistic expression with the audience's ability to comprehend these works beyond cultural and cognitive barriers.

- **Keywords:**Problems, Reception, Artistic discourse, Contemporary art.

- مقدمة

يعتبر الخطاب الفني في الفن المعاصر عنصرًا أساسيًا لفهم وتحليل الإنتاج الفني الحديث. فهو لا يقتصر على مجرد وصف الأعمال الفنية، بل يتجاوز ذلك لاستكشاف الأطر النظرية والفلسفية التي تؤثر في عملية إنتاج الفن وتلقيه.وتسهم دراسة هذا الخطاب في فك رموز المعاني الكامنة في الأعمال الفنية، مما يتيح للباحثين والنقاد والجمهور التفاعل معها بوعي أكبر وأعمق.ومن بين أحد أهم العناصر الأساسية في دراسة الخطاب الفني هو فهم السياقات الثقافية والاجتماعية التي تشكل الممارسات الفنية المعاصرة؛فالفن في الوقت الحاضر لا يُنتَج في بيئة معزولة، بل يتأثر بالتحولات الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية،ومن خلال تحليل الخطاب المتعلق بالفن، يمكننا استكشاف كيفية تجسيد هذه العوامل في الأعمال الفنية، مما يعمق فهمنا للدور الذي يلعبه الفن في المجتمع.

بالإضافة إلى ذلك، يسهم تحليل الخطاب الفني في توصيل الفن المعاصر بالتيارات الفكرية المتنوعة، مثل ما بعد الحداثة، والدراسات ما بعد الاستعمارية، ونظريات الهوية وما إلى ذلك. حيث تتيح هذه المقاربات للباحثين فرصة لفهم كيفية تفاعل الفن المعاصر مع القضايا العالمية الراهنة، وكيف يعيد تشكيل المفاهيم التقليدية للفن والجمال، كما أن دراسة الخطاب الفني تعزز النقد الأكاديمي للفن، حيث تقدم أدوات نظرية ومنهجية لفهم الأعمال الفنية من زوايا متعددة. من خلال استخدام مناهج تحليلية مثل التأويل السيميائي، والتحليل التفكيكي، ودراسات التلقي، يمكن الوصول إلى قراءات عميقة للأعمال الفنية تتجاوز السرد البصري المباشر، وتكشف عن معانيها الخفية ودلالاتها الرمزية. وعليه، فإن تحليل الخطاب الفني في الفن المعاصر يتجاوز كونه مجرد نشاط نظري؛ فهو أداة لفهم التفاعلات المعقدة بين الفن والمجتمع والأفكار. يُعدّ هذا التحليل ضروريًا للفنانين والنقاد والباحثين في مجال الفنون، حيث

يوفر إطارًا أكاديميًا لفهم التحولات الفنية الحالية، ويعزز الممارسات النقدية التي تسهم في تطوير المجال الفني.

يُشكّل فهم الخطاب الفني في الفن المعاصر تحديًا كبيرًا بسبب تعقيد الرموز والأساليب التعبيرية التي يعتمدها الفنانون للتعبير عن قضايا متعددة الأبعاد. كما يتميز الفن المعاصر بتجاوزه للأشكال التقليدية واحتضانه لوسائط وتقنيات جديدة، مما يترك أثرًا عميقًا في المجتمع من خلال إثارة التساؤلات وإعادة تشكيل الوعي الجماعي. ومع ذلك، فإن غياب المرجعيات الثابتة وصعوبة تفسير الأعمال الفنية نتيجة لتعدد القراءات تجعل فهم هذا الخطاب الفني مسألة معقدة تتطلب أدوات تحليلية متخصصة. لذا تُطرح الإشكالية التالية:**كيف يمكننا تطوير منهجية تحليلية تسهم في تفكيك هذا الخطاب وفهم دلالاته العميقة في سياق الفن المعاصر؟**

1- الخطاب الفني

1-1- المفهوم

يُمثل الخطاب الفني مجموعة من المفاهيم والنظريات والمصطلحات التي تُستخدم في وصف الفن وتحليله ونقده، ويشمل هذا الخطاب اللغة التي نعتمد عليها عند الحديث عن الفن، والأطر النظرية التي تساعدنا في فهمه، بالإضافة إلى الممارسات الاجتماعية والثقافية التي تؤثر عليه.(ميشال، 1987، صفحة 100)

تأثر الخطاب الفني عبر العصور بتغير الثقافات والتقنيات والأفكار الفلسفية، مما جعله يعكس التغيرات الحاصلة في المجتمع والفن على حد سواء، ويشير الخطاب الفني في مختلف أوجه إلى عدّة جوانب مهمة لعلّ أهمها:اللغة والمصطلحات(ميشال، 1987، صفحة 107)، وهي العناصر التي تُوفر الأدوات الضرورية لوصف وتحليل الأعمال الفنية،وتشمل هذه المصطلحات مفاهيم مثل اللون، الشكل، التركيب، المنظور، والرمزية، التي تسهم في تفسير الجوانب البصرية والفكرية للفن. ومن مثال ذلك، يُستخدم مصطلح "المنظور" للإشارة إلى كيفية تجسيد العمق في اللوحات، بينما تعبر "الرمزية" عن استخدام العناصر الفنية لتمثيل أفكار أو مفاهيم أعمق. لقد تطورت هذه المصطلحات عبر العصور لتعكس التغيرات في الأساليب الفنية والأفكار الثقافية، مما جعلها جزءًا أساسيًا من فهمنا وتقديرنا للفن.

كما تشكل الأطر النظرية جزءًا أساسيًا من الخطاب الفني، حيث تقدم الأدوات الفكرية اللازمة لتحليل وفهم الأعمال الفنية في سياقات أوسع. تساعد هذه النظريات في تفسير الفن من زوايا متعددة، مثل الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس، مما يعزز من عملية النقد والتأويل. (عناني، 1995، صفحة 89)من بين الأطر النظرية البارزة نجد الشكلية (Formalism) التي تركز على الجوانب الشكلية للعمل الفني، مثل

اللون والخط، والماركسية التي تعدّ الفن نتاجًا للظروف الاقتصادية والاجتماعية. بينما تتحدى ما بعد الحداثة المفاهيم التقليدية للجمال والحقيقة. وأخيرًا، يستكشف التحليل النفسي الجوانب اللاواعية في الفن من خلال الرموز والأحلام. هذه الأطر النظرية لا تعزز فقط فهمنا للفن، بل تسهم أيضًا في تشكيل كيفية إنتاج الفن وتلقيه في سياقات ثقافية متنوعة.(استيتية، 2002، صفحة 16)

ويلعب السياق التاريخي والاجتماعي دورًا محوريًا في تشكيل الخطاب الفني أيضا، حيث يُفهم الفن دائمًا في إطار الزمان والمكان الذي يُنتج فيه. كل عمل فني يحمل بصمة عصره ويعكس القيم الاجتماعية والسياسية والثقافية السائدة في تلك الفترة. ومن مثال ذلك أن فن عصر النهضة عكس أفكار الإنسانية والاكتشافات العلمية، بينما تأثر الفن الحديث في القرن العشرين بالحربين العالميتين والتحولات التكنولوجية. بالإضافة إلى ذلك، يُظهر الفن كيفية تفاعل المجتمعات مع قضايا مثل الهوية والسلطة والعدالة الاجتماعية. من خلال دراسة السياق التاريخي والاجتماعي، يمكننا فهم كيفية تشكيل الفن للعالم من حولنا، مما يجعل الخطاب الفني أداة قوية لفهم التاريخ والثقافة الإنسانية.(عبد الرزاق، 1992، صفحة 128)

في هذا السياق، يتضح أن للممارسات المؤسسية تأثيرًا كبيرًا في تشكيل الخطاب الفني.(إدوارد، 2005، صفحة 88) فالمؤسسات الثقافية مثل المتاحف والمعارض والأكاديميات تلعب دورًا محوريًا في كيفية عرض الفن وتفسيره وتقييمه،فهذه المؤسسات لا تقتصر على حفظ الأعمال الفنية فحسب؛ بل تؤثر أيضًا في ما يُعتبر "فنًا" ذا قيمة من خلال اختياراتها لعرض أعمال معينة أو دعم فنانين محددين. وقد نجد أحيانا أن بعض المتاحف الكبرى تميل إلى تعزيز الفن الغربي التقليدي، بينما قد تتجاهل أحيانًا الفنون غير الغربية أو المعاصرة. علاوة على ذلك، تسهم المؤسسات الأكاديمية في تدريس النظريات الفنية وتدريب النقاد والفنانين، مما يساعد في تشكيل المفاهيم السائدة حول الفن. وبالتالي، تُعتبر الممارسات المؤسسية قوة مؤثرة في توجيه الخطاب الفني وتحديد أولوياته الثقافية والاجتماعية.

كما تُعزز العلاقات بين التخصصات الخطاب الفني من خلال ربط الفن بمجالات معرفية متنوعة مثل الأدب والموسيقى والعلوم والسياسة،(ميلز، 2004، صفحة 37)وهو ما يساهم في توسيع آفاق فهمنا وتفسيرنا للأعمال الفنية. على سبيل المثال، يمكن تحليل لوحة معينة من منظور علم النفس لفهم تأثيرها العاطفي، أو دراسة فن الأداء في سياق الحركات الاجتماعية والسياسية. بالإضافة إلى ذلك، فإن التكنولوجيا الحديثة، مثل الذكاء الاصطناعي والواقع الافتراضي، قد فتحت آفاقًا جديدة للإبداع الفني، مما أدى إلى ظهور أشكال فنية متعددة التخصصات. هذه التفاعلات بين

الفن والمجالات الأخرى لا تُثري الخطاب الفني فحسب، بل تعكس أيضًا كيف يمكن للفن أن يكون أداة فعالة لاستكشاف القضايا الإنسانية المعقدة وتقديم رؤى جديدة حول العالم من حولنا.

2-1- تطور الخطاب الفني عبر التاريخ

شهد الخطاب الفني تطورًا ملحوظًا عبر العصور القديمة والكلاسيكية، بدءًا من عصور ما قبل التاريخ وصولًا إلى القرن الخامس الميلادي، حيث كان الفن يعكس القيم الثقافية والدينية والاجتماعية لكل فترة زمنية. أما في عصور ما قبل التاريخ فقد اتسم الفن بالبساطة والرمزية في تلك الفترة، حيث كان الإنسان القديم يركز على تصوير الحياة اليومية والطقوس الدينية من خلال الرسوم الصخرية والمنحوتات البدائية، كما هو الحال في كهوف لاسكو في فرنسا أو التماثيل الصغيرة مثل "فينوس ويلندورف"؛ التي تجسد الخصوبة والأنوثة. ومع بروز الحضارات القديمة في بلاد ما بين النهرين ومصر، أصبح الفن أكثر تعقيدًا وارتباطًا بالسلطة الدينية والسياسية. في مصر القديمة، حيث كان الفن وسيلة لتخليد حياة الفراعنة والآلهة، مع التركيز على الدقة الهندسية والتناسق، كما يتضح في التماثيل الضخمة والمعابد المزينة بالرسوم الجدارية التي تصور الحياة الآخرة. وفي بلاد ما بين النهرين، تميز الفن بالزخارف المعمارية والنقوش البارزة التي تسجل انتصارات الملوك، مثل بوابة عشتار في بابل.

أما في العصر الكلاسيكي، وخصوصًا في اليونان القديمة، شهد الفن تطورًا ملحوظًا يعكس المثالية الجمالية والإنسانية. فقد اهتم الفنانون بتصوير الجسد البشري بشكل واقعي ومتناسق، معبرين عن مفاهيم الجمال والقوة، كما يتضح في التماثيل الشهيرة مثل "ديسكوبولوس" و"فينوس دي ميلو". وكان الفن مرتبطًا أيضًا بالأساطير اليونانية، حيث تزينت المعابد والمسارح بالمنحوتات والتصاوير التي تجسد الآلهة والأبطال.(خطيب، 1999، صفحة 353)بينما نجد أن الفن في العصر الروماني قد تأثر بالثقافة اليونانية، لكنه أضاف بعدًا واقعيًا أكبر، خاصة في تصوير الشخصيات والوجوه، مما يظهر من خلال التركيز على التفاصيل الدقيقة والتعبيرات الحقيقية. كما تميز الفن الروماني بالعمارة الضخمة، مثل الكولوسيوم وأقواس النصر، التي تعكس قوة الإمبراطورية وتطورها الهندسي. ومع دخول العصر المسيحي، وخصوصًا بعد القرن الرابع الميلادي، بدأ الفن يتجه نحو تعبيرات جديدة تعكس القيم الدينية المسيحية. فقد تم استخدام الرموز والرسوم الجدارية في الكنائس لنشر التعاليم الدينية، كما هو الحال في الكاتاكومبات الرومانية، زمنه فقد أسس هذا التحول للفن البيزنطي الذي تطور لاحقًا في العصور الوسطى.(فيصل موسى، 2021، صفحة 230)

بصفة عامة، يمكن اعتبار الخطاب الفني في هذه العصور تجسيدًا للتغيرات الثقافية والدينية والسياسية، حيث تطور من البساطة والرمزية إلى التعقيد والواقعية، معبرًا عن آمال الإنسان ورؤيته للواقع المحيط به.

من منظور فلسفي، يمكننا أن نرى كيف تطور الخطاب الفني تحت تأثير أفكار أفلاطون وأرسطو، اللذين يعكسان جدلية عميقة حول طبيعة الفن ووظيفته في المجتمع. فقد قدم كل منهما رؤية فريدة لا تزال تؤثر في فهمنا للفن حتى يومنا هذا. لقد اعتبر أفلاطون الفن بمثابة "محاكاة" للواقع، حيث رأى أنه مجرد انعكاس للعالم المادي، الذي يعد بدوره تجسيدًا غير كامل لعالم المثل المثالي. بينما انتقد أفلاطون في كتابه "الجمهورية" الفن، لأنه يبعد الإنسان عن الحقيقة المطلقة، مشيرًا إلى أن الأعمال الفنية، مثل الشعر والرسم التي تقدم نسخًا مشوهة من الواقع، مما قد يؤدي إلى إثارة العواطف وإرباك العقل. لذا، دعا إلى تقييد دور الفن في المجتمع المثالي، خشية من تأثيره السلبي على الأخلاق والعقل.. على النقيض من ذلك،(منير عامر، 1984، صفحة 12) دافع أرسطو عن القيمة الأخلاقية والعاطفية للفن في كتابه "فن الشعر"، حيث عدّ الفن ليس مجرد تقليد سطحي للواقع، بل هو وسيلة لفهم العالم وتنقية المشاعر. ورأى أرسطو أن المحاكاة الفنية تتيح للإنسان تجربة العواطف بشكل آمن، مما يؤدي إلى "التطهير"، وهي عملية تنقية المشاعر من خلال التعاطف مع الشخصيات والأحداث في الأعمال الفنية. بالنسبة له، الفن ليس مجرد أداة للتعبير الجمالي، بل هو أيضًا وسيلة لتعزيز الفهم الأخلاقي والعاطفي، حيث يساعد الجمهور على استيعاب الدروس الأخلاقية من خلال التجارب الفنية.(ارسطو، 2019، صفحة 61)

إن الاختلافات بين رؤية أفلاطون وأرسطو أسست نقاشًا فلسفيًا مستمرًا حول دور الفن في المجتمع. بينما اعتبر أفلاطون الفن تهديدًا محتملًا للحقيقة والنظام الأخلاقي، أكد أرسطو على قيمته التربوية والعاطفية. هذه الجدلية أثرت في تطور الخطاب الفني عبر العصور، حيث ظهرت مدارس فنية وفلسفية تتبنى إما النظرة النقدية لأفلاطون أو النظرة الداعمة لأرسطو، مما أثر في كيفية فهمنا للفن كوسيلة للتعبير عن الواقع والمشاعر الإنسانية.

لقد اتجه تيار الرمزية والوظيفة، من جانب الفنانين، نحو استكشاف أبعاد جديدة تتجاوز الشكل الظاهري للعمل الفني. ووفقًا لمبادئ المذهب الرمزي، فقد أصبح الفن وسيلة للتعبير عن الأفكار والمشاعر الداخلية من خلال الرموز والإيحاءات، مما أتاح تعدد التفسيرات وإثراء التجربة الجمالية. في الوقت نفسه،(فرغلي و عمران،

2016، صفحة 170)بينما ركزت الوظيفة على الجانب العملي للفن، حيث ارتبطت القيمة الجمالية بمدى فائدة العمل الفني في الحياة اليومية. هذا التزاوج بين الرمزية والوظيفة أدى إلى ظهور أعمال فنية تجمع بين العمق الفكري والفائدة العملية، مما وسع آفاق الفن وأعاد تعريف دوره في المجتمع.وفي الفترة التي تليها نجد أن الخطاب الفني قد تأثر بالسياقات الدينية والاجتماعية السائدة في العصور الوسطى. وقد كان الفن في هذه الفترة كمرآة تعكس بشكل كبير القيم المسيحية وهو ما نلاحظه من خلال هيمنة المواضيع الدينية على الأعمال الفنية، خصوصًا في مجالات العمارة والنحت والرسم...إلخ،وتُعدّ الكاتدرائيات القوطية من أبرز إنجازات هذه الحقبة، والتي تتميز بتصميمها الفريد الذي يعكس السمو الروحي من خلال الأقواس المدببة والنوافذ الزجاجية الملونة التي تروي قصصًا من الكتاب المقدس. كما تميز الفن البيزنطي بالأيقونات الدينية والفسيفساء التي تعبر عن القداسة والروحانية. ومع ذلك، لم يقتصر الفن على الجانب الديني فحسب، بل بدأ أيضًا في عكس جوانب من الحياة اليومية والثقافة الشعبية، خاصة في أواخر العصور الوسطى مع بروز ملامح عصر النهضة. (السيد أحمد، 2013، صفحة 67)

أما في عصر النهضة فقد تميز تطور الخطاب الفني بتحول منهجي نحو الفكر الإنساني والاهتمام بالتراث الكلاسيكي للإغريق والرومان، مع تركيز على العقلانية والتجريب. واعتمد الفنانون كذلك على دراسة علم التشريح وقواعد المنظور الخطي لتحقيق واقعية بصرية غير مسبوقة، مما سمح بتمثيل الفضاء ثلاثي الأبعاد بشكل دقيق. كما أدى استخدام تقنيات مثل التظليل والتركيب المتوازن إلى تعزيز العمق العاطفي والجمالي للأعمال. لقد برزت أسماء كبيرة في تلك الفترة مثل ليوناردو دافنشي الذي دمج الفن مع البحث العلمي، ومايكل أنجلو، الذي أعاد تعريف النحت والرسم من خلال أعماله ذات الطابع الدرامي، ورافائيل، الذي جسد المثالية الكلاسيكية في تكويناته المتناغمة، بالإضافة إلى ذلك، شهدت هذه الفترة تطورًا في استخدام الألوان الزيتية، مما أتاح للفنانين تحقيق تفاصيل أدق وتأثيرات ضوئية أكثر تعقيدًا. بذلك، مثل عصر النهضة مرحلة تأسيسية في تاريخ الفن، حيث أعادت تعريف دور الفنان كمفكر ومبتكر، ووضعت أسسًا للحركات الفنية اللاحقة (Murtha, Helmreich, & Melissa, 2019).

كامتداد للانفتاح الكبير على فن عصر النهضة نجد كذلك أن الخطاب الفني في كل من عصري الباروك والتنوير (القرن الثامن عشر) قد عرف تطورات أخرى تعكس التحولات الفكرية والاجتماعية والسياسية لتلك الفترة. فقد تميز الفن في الحقبة الأولى بالدراماتيكية والحركة الديناميكية، حيث استخدم الفنانون تقنيات مثل التباين

الشديد بين الضوء والظل والتكوينات المعقدة لنقل المشاعر القوية والروحانية.(جحيش و بلّوط، 2023، صفحة 301)كما برزت مواضيع مثل الدين والسلطة، مع تركيز على التفاصيل الفخمة والزخرفية، كما ظهر في أعمال فنانين مثل كارافاجيو وبيتر بول روبنس وجيان لورينزوبرنيني، ومع دخول عصر التنوير، تحول الخطاب الفني ليعكس قيم العقلانية والتفكير النقدي، حيث أصبح الفن أداة للتعبير عن الأفكار الفلسفية والاجتماعية. تميزت هذه الفترة بظهور الأنماط الكلاسيكية الجديدة التي أعادت إحياء القيم الجمالية للعصور الكلاسيكية مع تركيز على البساطة والوضوح والنظام. كما بدأ الفنانون في استكشاف مواضيع إنسانية واجتماعية، مما مهد الطريق للفن الحديث. بذلك، وقد مثلت هاتان الفترتان مرحلة انتقالية مهمة، حيث جمعت بين التعبير العاطفي للباروك والتفكير العقلاني للتنوير.(محمد رزق، 2000 ، صفحة 30)

في القرن التاسع عشر، نشأت حركات فنية متنوعة تعكس التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي رافقت الثورة الصناعية والتغيرات الفكرية،(جان، 1987، صفحة 40) حيث برزت في النصف الأول من هذا القرن حركة الرومانسية كاستجابة للعقلانية الصارمة لعصر التنوير، والتي أولت اهتمامًا كبيرًا للعواطف الجياشة والخيال والطبيعة خاصة مع أعمال لفنانين مثل يوجين ديلاكروا وفرانسيسكو غويا، على الجانب الآخر ظهرت الواقعية كحركة تعكس الحياة اليومية للطبقات العاملة والفلاحين، مع التركيز على تصوير الحقائق الاجتماعية بشكل غير مثالي، كما تجلى في أعمال غوستاف كوربيه وجان فرانسوا ميليه. أما في النصف الثاني فقد ظهرت الانطباعية كتحول جذري عن الأعراف الفنية التقليدية، حيث ركزت على اللحظات العابرة وتأثيرات الضوء واللون، مع فنانين مثل كلود مونيه وإدغار ديغا. تلتها حركات ما بعد الانطباعية التي سعت لاستكشاف أبعاد جديدة في التعبير الفني، كما يتضح في أعمال فنسنت فان غوغ وبول سيزان. وبالتالي، يمثل القرن التاسع عشر فترة غنية بالتجديدات الفنية التي مهدت لأسس جديدة للفن الحديث فيما بعد.

خلال القرن العشرين، أسس الفنانون قواعد جديدة للفن الحديث بشكل جذري وسريع، حيث انفصل الفن بشكل كبير عن التقاليد الكلاسيكية وبدأ يتجه نحو التجريب والتعبير عن مفاهيم جديدة. هذا وقد ظهرت حركات فنية متنوعة مثل التكعيبية التي أسسها بابلو بيكاسو وجورج براك؛التي قامت بتفكيك الأشكال وإعادة تركيبها من زوايا متعددة.(ادوارد، 1995، صفحة 51) كما برزت السريالية التي استكشفت عالم الأحلام واللاوعي، وتجلى ذلك بشكل صريح في أعمال الفنان سلفادور دالي، وبذلك برز الفن التجريدي مع فنانين أمثال كاندينسكيوموندريان، الذين رفضوا التمثيل

الواقعي وركزوا على الأشكال والألوان المجردة. بالإضافة إلى ذلك، تأثر الفن بالتطورات التكنولوجية والسياسية المتسارعة هي الأخرى حيث ظهرت حركات مثل الدادائية التي انتقدت الحرب والرأسمالية، والفن المفاهيمي الذي أعطى الأولوية للفكرة على الشكل المادي. كما شهدت هذه الفترة ظهور فن البوب مع أندي وارهول وغيره من فناني هذا النمط. بهذا، يمثل القرن العشرين مرحلة من التحرر الفني والابتكار، حيث أعاد الفن تعريف نفسه ووسع حدود التعبير والإبداع.(جلوب جبر الكناني و كاظم ياسر، 2018، الصفحات 04-05)

لقد تجلى التطور الديناميكي الذي يعكس التغيرات السريعة في التكنولوجيا والمجتمع والثقافة خلال القرن الحادي والعشرين بشكل واضح، حيث أصبح الفن أكثر تنوعًا وتفاعلية. فقد دمجت الأعمال الفنية بين الوسائط التقليدية والتقنيات الحديثة مثل الفن الرقمي، والواقع الافتراضي، والذكاء الاصطناعي. نتيجة لذلك، ظهرت حركات فنية تعكس قضايا معاصرة مثل العولمة، والهوية، والتغير المناخي، والعدالة الاجتماعية، مما جعل الفن أداة فعالة للتعبير عن الآراء والتأثير في الرأي العام. كما شهد القرن الحادي والعشرين زيادة في أهمية الفن العام والفن التشاركي، حيث أصبح الجمهور جزءًا نشطًا في عملية الإبداع. بالإضافة إلى بروز منصات التواصل الاجتماعي كفضاءات جديدة لعرض الفن ونقده، مما ساهم في توسيع انتشار الفنون وجعلها أكثر ديمقراطية.

يتضح جليا من خلال مناقشتنا كرونولوجيا للخطاب الفني بأنه يمثل مجالًا ديناميكيًا يعكس التغيرات المستمرة في العلاقة بين الفن والمجتمع، حيث يتفاعل مع التحولات الثقافية والسياسية والتكنولوجية عبر العصور. منذ الحضارات القديمة، حيث كان الفن يعبر عن المعتقدات الدينية والسلطة السياسية، مرورًا بالعصور الوسطى التي برزت فيها الرموز الدينية، وصولًا إلى عصر النهضة الذي أعاد اكتشاف القيم الإنسانية والجمال الكلاسيكي...، إذن فقد عرف الخطاب الفني تطورات ملحوظة تعكس تطلعات كل فترة زمنية.

1-3- علاقة الخطاب الفني بالفلسفة وعلم الاجتماع والنقد الفني

لا شك أن العلاقة بين الخطاب الفني والفلسفة تتميز بالعمق والتعقيد، حيث يتداخلان في العديد من النقاط التي تعزز كل منهما. يمكن توضيح هذه العلاقة من خلال اعتبار الخطاب الفني وسيلة فعالة للتعبير عن المفاهيم المجردة التي قد يكون من الصعب توضيحها بالكلمات فقط،(مهدي يونس، 2010، الصفحات 17-18)فالفن يستخدم عناصر مثل الصور والألوان والأصوات والحركة لترجمة الأفكار الفلسفية أو

العاطفية أو الروحية إلى أشكال ملموسة؛ من خلال الرموز والاستعارات، كما يمكن للفن تجسيد مفاهيم مثل الحب، الحرية، الموت، أو الوجود، مما يجعلها أكثر وضوحًا وقربًا من التجربة الإنسانية. فقد تعبر لوحة فنية عن فكرة "العبث" الوجودي من خلال تكوينات غير تقليدية أو ألوان متضاربة، بينما قد تعكس قطعة موسيقية شعور "الوحدة" من خلال نغمات حزينة وإيقاعات متقطعة. بهذه الطريقة، يصبح الفن جسرًا يربط بين العالم المجرد للفكر والعالم الملموس للمشاعر والإدراك الحسي.

في هذه الحالة، يمكن أن تتسع علاقة الخطاب الفني بالفلسفة لتشمل البحث عن الحقيقة، حيث يعبر الفن عن جوانب من الواقع والإنسانية قد تعجز اللغة أو المنطق التقليدي عن الوصول إليها،ومن خلال التجربة الجمالية والعاطفية يستطيع الفن أن يكشف عن حقائق عميقة تتعلق بالطبيعة البشرية والمجتمع والوجود، مما يتيح للمتلقي استيعاب هذه الحقائق بشكل حدسي وشخصي. بهذا المعنى، يصبح الفن شريكًا للفلسفة في استكشاف الحقيقة، معتمدًا على الإبداع والتأويل لفتح آفاق جديدة لفهم العالم، فالخطاب الفني يتفاعل بشكل ديناميكي مع الفلسفة والثقافة والمجتمع، مما يخلق علاقة من التأثير المتبادل. فالفن يستمد إلهامه وأفكاره من التيارات الفلسفية والاجتماعية، وفي المقابل، يسهم في تشكيل الرؤى الفلسفية والوعي المجتمعي.(مهدي يونس، 2010، صفحة 16) عند متابعة مسيرة الحركات الفنية وتأثيراتها، يمكن ملاحظة كيف تأثرت السريالية بالفلسفة الوجودية والتحليل النفسي، بينما ألهمت الأعمال الفنية فلاسفة مثل نيتشه وهيغل في تطوير مفاهيمهم حول الجمال والوجود. هذا التفاعل المستمر بين الفن والفلسفة يغني كلا الجانبين، حيث يصبح الفن وسيلة لتجسيد الأفكار الفلسفية، بينما توفر الفلسفة إطارًا نظريًا لفهم الأعمال الفنية وتأثيرها على الإنسان والمجتمع.

يدعونا ما سبق إلى التعمق في العلاقة بين الخطاب الفني والجماليات، وربطها بالتفكير النقدي والتغيير الاجتماعي من جهة أخرى. فالجماليات تُعتبر فرعًا فلسفيًا يدرس طبيعة الجمال والفن والإدراك الحسي. ويمكننا من خلال ذلك استكشاف مفاهيم جديدة في الأعمال الفنية، مثل التناغم والتوازن والجمال، وهي عناصر تثير التجارب الجمالية لدى المتلقي. لذا، فإن الفن لا يقتصر على إنتاج أعمال جميلة فحسب، بل يتجاوز ذلك ليحفز التفكير والتأمل في معايير الجمال والقيمة الفنية، وهو في الأخير ما يجعل من الخطاب الفني يسهم في تحفيز التفكير النقدي من خلال طرح أسئلة وتحديات تتعلق بالواقع والقيم والمعتقدات السائدة. فالأعمال الفنية تعكس غالبًا قضايا اجتماعية أو وجودية، مما يدفع المتلقي إلى التساؤل وإعادة تقييم أفكاره المسبقة. وبالتالي، يصبح الفن أداة فعالة لتنمية الوعي النقدي وتعزيز الحوار حول المواضيع

المعقدة،ومن خلال ذلك يمكننا تسليط الضوء على القضايا الاجتماعية والسياسية وزيادة الوعي الجماعي. فالفنون، سواء كانت لوحات أو أفلام أو مسرحيات أو موسيقى، تستطيع أن تعكس الظلم وعدم المساواة والتحديات التي يواجهها المجتمع، مما يحفز الجمهور على التفكير والعمل. وقد شهدنا كيف استخدمت الحركات الفنية في الماضي، مثل الواقعية الاجتماعية وفن الغرافيتي، لنقل رسائل قوية حول الفقر والعنصرية والقمع، مما ساهم في تحريك المشاعر وإلهام التغيير. بهذه الطريقة أصبح الفن أداة فعالة للتعبير عن المظالم ودفع المجتمع نحو التحول الإيجابي والعدالة الاجتماعية.

4-1- أهمية الخطاب الفني في فهم العمل الفني وتفسيره

عندما يتم وضع العمل الفني في سياقه التاريخي والثقافي والاجتماعي، فإن ذلك يساعد المتلقي على فهم الدوافع التي أدت إلى إنتاجه والمعاني التي يحملها. وهذا لا يتعارض مع تحليل العناصر الفنية التي تتيح له إدراك كيفية استخدام الفنان لعناصر مثل اللون، الشكل، التركيب، والإيقاع لنقل رسائل معينة أو لإثارة مشاعر محددة. فالألوان تحمل دلالات متنوعة، بينما يمكن أن يسهم الشكل والتركيب في خلق توازن أو توتر داخل العمل الفني، مما يؤثر على كيفية تفسير المشاهد له. أما الإيقاع، سواء كان مرئيًا من خلال الخطوط المتكررة أو مسموعًا في الموسيقى، فيمكن أن يخلق شعورًا بالحركة أو الاستقرار. فتفسير الرموز والدلالات هو جانب حيوي في الخطاب الفني، حيث أن الأعمال الفنية غالبًا ما تعتمد على الرموز والاستعارات لتوصيل رسائل معقدة أو أفكار مجردة قد لا تكون واضحة للوهلة الأولى(تريكي، بنية اللوحة التشكيلية المعاصرة وإشكالية التلقي في الجزائر، 2021، الصفحات 126-127)

يبدو من الضروري هنا تعزيز الحوار النقدي الذي يشجع على النقاش وتبادل الآراء حول الأعمال الفنية، مما يتيح المجال لتفسيرات متعددة ورؤى جديدة. ومن خلال هذا الحوار يمكن للجمهور والمتخصصين على حد سواء المشاركة في تحليل العمل الفني من زوايا متنوعة، سواء كانت تاريخية أو اجتماعية أو نفسية. هذا التنوع في التفسيرات لا يثري فقط فهم العمل الفني، بل يعكس أيضًا تنوع الخبرات والثقافات التي ينتمي إليها المتلقون. وبالتالي، يمكن أن يكشف الحوار النقدي عن طبقات جديدة من المعنى قد تكون مخفية، مما يجعل تجربة الفن أكثر غنى وتعقيدًا.تُشير هذه التفاعلات إلى الروابط بين الفن والفلسفة من جهة، والعلوم الإنسانية من جهة أخرى. حيث يسعى الخطاب الفني إلى دمج الأعمال الفنية مع مجالات أخرى مثل الفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، مما يتيح رؤية شاملة لفهم العمل الفني وتأثيره على الفرد والمجتمع. هذا، ويُمكن لعلم الاجتماع أن يُساعد في استكشاف كيفية

تأثير الأعمال الفنية على الهوية الثقافية والعلاقات الاجتماعية، بينما تُسلط الأنثروبولوجيا الضوء على الأبعاد الثقافية والتاريخية التي ساهمت في تشكيل العمل الفني. إن هذا التكامل بين الفن والعلوم الإنسانية لا يُثري فقط فهمنا للأعمال الفنية، بل يُعمق أيضًا إدراكنا لدور الفن في تشكيل الثقافة والمجتمع.(تريكي، بنية اللوحة التشكيلية المعاصرة وإشكالية التلقي في الجزائر، 2021، صفحة 136)

من ناحية تسهيل الوصول إلى الجمهور، يمكن القول إن الخطاب الفني يسهم في جعل الأعمال الفنية أكثر وضوحًا وفهمًا لجمهور متنوع، بما في ذلك غير المتخصصين. ومن خلال الشرح والتفسير يمكن لهذا الخطاب أن يزيل الحواجز بين الفنان والجمهور، ويقدم رؤى واضحة حول المعاني والأفكار التي يحملها العمل الفني. فشرح السياق التاريخي أو الثقافي يمكن أن يساعد الجمهور في فهم أسباب اختيار الفنان لموضوع معين أو أسلوب فني محدد. فالخطاب الفني يستخدم في بعض جوانبه لغة بسيطة وواضحة لتبسيط المفاهيم المعقدة، مما يجعل الفن أكثر شمولية ويسهل وصوله إلى جميع الفئات الاجتماعية. هذا التسهيل يعزز تجربة الجمهور ويزيد من الوعي الثقافي والفني، كما يشجع على مشاركة أوسع في الحياة الثقافية.

2- الفن المعاصر

2-1- التاريخ

يُعد الفن المعاصر مرحلة فنية بدأت في منتصف القرن العشرين، تحديدًا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945، ولا يزال مستمرًا حتى اليوم. كما يتميز هذا العصر الفني بالابتعاد عن التقاليد الفنية السابقة مثل الحداثة، ويركز الفن المعاصر على التعبير عن قضايا العصر الحديث باستخدام أساليب ومواد مبتكرة.

بعد الحرب العالمية الثانية، شهد الفن تحولات جذرية نتيجة للتغيرات الكبيرة التي اجتاحت العالم، فقد ابتعد الفنانون في هذه الفترة عن التقاليد الكلاسيكية وبدلا من ذلك بدأوا في استكشاف أساليب جديدة تعبر عن مفاهيم مثل الوجودية والحداثة وما بعد الحداثة،لتظهر حركات فنية متنوعة مثل التعبيرية التجريدية التي مثّلها فنانون مثل "جاكسون بولوك"، حيث ركزت بشكل لافت على العفوية والعاطفة،(عبد الحميد، 2001، صفحة 259)أما في أوروبا انتشرت حركتا الدادائية والسريالية اللتان تحدتا المنطق التقليدي.لتشهد هذه المرحلة فيما بعد خلال ستينيات وسبعينيات القرن الماضي تطورًا ملحوظًا في الفن المفاهيمي وفن البوب آرت، خاصة مع فنانين مثل "أندي وارهول"وغيره من الفنانين الذين استلهموا مواضيع أعمالهم من الثقافة الاستهلاكية الجماهيرية ووسائل الإعلام. كما أن التطورات التكنولوجية ساهمت في ظهور أشكال فنية جديدة مثل الفن الرقمي وفن الفيديو والغرافيتي. بشكل عام، يمكن القول إن الفن

المعاصر أصبح يعكس تعقيدات التجربة الإنسانية، مع التركيز على الفكرة أكثر من الشكل؛ مما وسع آفاق الإبداع إلى مستويات غير مسبوقة. والملاحظ هنا هو كسر هذه الفترة للحدود ما بين الفن والحياة اليومية، لتثير بذلك تساؤلات حول دور الفنان والمشاهد.(أسعد جواد عبد، 2015، صفحة 633)

يمكن ملاحظة التحولات الجذرية في الفن المعاصر خلال الثمانينيات والتسعينيات، حيث تميز الفن بتنوع أساليبه وتداخل الحدود بين مختلف الفنون. في بداية الثمانينيات، عاد الاهتمام بالرسم والتعبيرية الجديدة مع فنانين مثل "جان ميشيل باسكيات" و"جوليان شنابل"، الذين دمجوا بين الجمالية العنيفة والرمزية الثقافية. من جهة أخرى، ظهر فن ما بعد الحداثة الذي تحدى مفاهيم الأصالة والتقليد. وفي التسعينيات، شهدنا صعود الفن التشاركي والتركيب التفاعلي، حيث أصبح المشاهد جزءًا من العمل الفني،ويمكن القول هنا بأن هذه الفترة رسخت الفن كوسيلة للحوار الاجتماعي، وفتحت المجال لتجارب أكثر جرأة في القرن الحادي والعشرين.

في القرن الحادي والعشرين، تجاوز الفن المعاصر الحدود التقليدية ليشمل بشكل كبير التقنيات الرقمية. وقد تطور في هذا السياق الفن التفاعلي وظهرت ممارسات متعددة التخصصات،ومع صعود الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، أصبح الفن أكثر انتشاراً، حيث برزت ظواهر مثل الفن الرقمي المرتبط بالذكاء الاصطناعي، الذي أعاد تعريف مفهوم الملكية الفنية. في الوقت نفسه، اتجه الفنانون إلى معالجة قضايا متعددة من خلال أعمال تركيبية ضخمة. كما شهدنا ظهور فن الأداء المعاصر، خاصة تلك الأعمال التي تستكشف حدود الجسد والزمن. وهنا يُظهر فن القرن الحادي والعشرين تنوعاً غير مسبوق بين الفن التقليدي والفن الحديث من جهة، والفن الواقعي والفن الافتراضي من جهة أخرى.(عيد سعد، 2015 ، صفحة 53)

2-2- الخصائص

يعكس الفن المعاصر تنوعاً وتعددية من خلال كونه مرآة حية للعولمة والتحولات الاجتماعية الحديثة. ولم يعد الفن بذلك مجرد وسيلة جمالية، بل أصبح منصة مفتوحة تلتقي فيها الثقافات والتقنيات والهويات المختلفة،وتظهر هذه التعددية من خلال الوسائط المتعددة، حيث يدمج الفنانون بين الرسم التقليدي والفن الرقمي، بالإضافة إلى التركيبات التفاعلية والواقع المعزز، كما يتناول الفن المعاصر مواضيع شاملة مثل قضايا البيئة والهوية، ويعزز المشاركة الجماعية، إذ لم يعد حكراً على الفنان وحده، بل أصبح يشمل الجمهور في إكمال العمل الفني. إن هذا التنوع جعل من

الفن المعاصر فضاء ديناميكياً يتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية، ويطرح أسئلة جوهرية حول الذات والعالم في عصر يتسم بتدفق مستمر للأفكار والتقنيات.(امهز، 1981، صفحة 303)

لا شك أن التركيز على المفاهيم يعد سمة أساسية في الفن المعاصر، حيث يتحول العمل الفني من كونه كياناً جمالياً إلى وسيلة فكرية قادرة على إثارة الأسئلة وتحدي المفاهيم السائدة. في هذا الإطار، تبرز الفكرة كعمل فني مستقل، متجاوزةً الاعتماد على المهارات التقليدية أو القيم الجمالية المعروفة. تتجلى هذه الرؤية في عدة مظاهر، منها تحويل النصوص والفلسفة إلى أعمال فنية قائمة بذاتها، واستخدام العناصر اليومية البسيطة لنقل مضامين عميقة، بالإضافة إلى التركيز على السياق الثقافي والسياسي كجزء أساسي من العمل الفني. بهذا المعنى، يصبح الفن المعاصر منصة للتأمل النقدي، حيث يتغير دور الفنان من صانع للأشياء إلى مبدع للمفاهيم، ومن مقدم لعروض جمالية إلى محفز للتفكير والتساؤل.

هذا، ويعيد الفن المعاصر تعريف العلاقة بين الإبداع والتكنولوجيا، حيث لم تعد التكنولوجيا مجرد أدوات مساعدة، بل أصبحت لغة فنية قائمة بذاتها،ليتحول الفنان إلى مبرمج ومخترع رقمي قادر على تحويل الخوارزميات إلى أعمال إبداعية معاصرة. وهذا من خلال تقنيات الواقع الافتراضي التي تذوب فيها الحدود بين الواقع والخيال. بالإضافة إلى ذلك، تبرز إبداعات الذكاء الاصطناعي التي تتحدى مفاهيم الإبداع الفردي، فضلاً عن فن البيانات الرقمية الذي يحول المعلومات إلى منحوتات بصرية. ومع وجود تفاعل حسي متقدم، يصبح جسد المشاهد واجهة فنية؛ مما يجعل الفضاء الرقمي لوحة للفنان المعاصر. هنا، تصبح التكنولوجيا وسيلة للتعبير الفني وموضوعاً له في الوقت نفسه، مما يعيد تشكيل مفهومنا عن الإبداع في العصر الرقمي.(بلاسم و جبار، 2015، صفحة 12)

وعلى اعتبار الفن المعاصر ظاهرة عالمية تجسد روح العولمة الثقافية،فإنه يتحول عبرها إلى منصة حيوية للحوار بين الحضارات، وهنا يتجاوز الفنان المعاصر الحدود المحلية ليصبح سفيراً إبداعياً يعيد تشكيل المفاهيم عبر الثقافات،وتتجلى هذه الرؤية العالمية من خلال عدة جوانب، أبرزها التوليف الحضاري والمشهد الفني الذي يتجاوز القارات، حيث تتحول المدن الكبرى إلى مختبرات مفتوحة للتبادل الإبداعي. بالإضافة إلى ذلك، تساهم اللغة البصرية العالمية في تجاوز الحواجز اللغوية، بينما يخلق الفضاء الرقمي المشترك عالماً يشبه القرية الإبداعية، حيث تتفاعل الأعمال الفنية بشكل فوري. فهذا التحول يجعل من كل عمل فني جزءاً من شبكة إبداعية

عالمية يختفي فيها التمايز بين المحلي والعالمي لصالح رؤية إنسانية شاملة، تُثريها التنوعات الثقافية مع الحفاظ على خصوصياتها.

مع تحول الجمهور من متلقٍ سلبي إلى عنصر نشط في العملية الإبداعية، تصبح تفاعلاته مع العمل الفني جزءاً أساسياً من مفهومه الجمالي. هذا التحول يعيد تشكيل العلاقة التقليدية بين المبدع والمتلقي، مما يجعلها أكثر ديناميكية وتشاركية، ويمكن تلخيص هذه الفلسفة في مجموعة من الممارسات الفنية، مثل الأعمال التفاعلية التي تتكيف باستمرار مع استجابات الجمهور، والمشاريع التشاركية التي تعتمد على السرد الجماعي، بالإضافة إلى الممارسات الفنية المجتمعية التي تحول الفضاء العام إلى مختبر إبداعي مشترك. وبالتالي، يعكس هذا الاتجاه تحولاً جوهرياً في المفاهيم الجمالية.

نجد كذلك أن الفن المعاصر يُشكِّل ثورةً جذريةً على التقاليد الفنية الراسخة، حيث يقوم بتفكيك المفاهيم الكلاسيكية وإعادة تعريف العمل الفني وأدوار الفنان والمتلقي. هذا التحدي لا يقتصر على التمرد الشكلي، بل يمثل تحولًا فلسفيًا عميقًا في الرؤية الجمالية المعاصرة، حيث تتداخل الفنون وتدمج الوسائط المختلفة، مما يتيح إعادة تعريف الجماليات من خلال تبني عناصر غير تقليدية. كما نلاحظ انتقال الأعمال الفنية من صالات العرض إلى الشوارع والفضاء الافتراضي، في محاولة لتفكيك المؤسسات الفنية. وقد أدى ذلك إلى تجاوز مفهوم الإتقان التقني لصالح التركيز على الفكرة والمضمون، كما هو الحال في الفن المفاهيمي. وبالتالي، فإن هذا التمرد الإبداعي لا يسعى إلى نفي التقاليد بشكل عشوائي، بل يهدف إلى خلق لغة فنية جديدة تعكس تعقيدات العصر الحديث.(Triki, 2007)

3- التحليل النقدي للخطاب الفني

3-1- المناهج النقدية

تتنوع المنهجيات النقدية المستخدمة في تحليل الخطاب الفني، وتعتمد على الزاوية التي يتم من خلالها دراسة العمل الفني. ومن أبرز هذه المنهجيات نجد:

3-1-1-التحليل الشكلي

يُعتبر التحليل الشكلي مدخلاً منهجياً أساسياً في الدراسات النقدية للفنون البصرية، حيث يركز على البنية الداخلية للعمل الفني كونه نظاماً بصرياً مستقلاً،ويستند هذا المنهج إلى المبادئ التي وضعها الناقد الفني "روجر فراي" ومدرسة النقد الشكلي. مع التركيز على الخصائص الجوهرية التي تحدد القيمة الجمالية للعمل؛ يُستخدم هذا المنهج بشكل خاص في تحليل الأعمال التي تتبنى مقاربة تجريدية، حيث تُعدّ العلاقات الشكلية محور العمل الفني. كما يوفر أداة تحليلية دقيقة

لفهم التطورات الأسلوبية للفنانين عبر مراحلهم الإبداعية المختلفة.(قاسم و نصر حامد، 1986، صفحة 252) ومع ذلك، يتعرض هذا المنهج لانتقادات نظرية بسبب فصله العمل الفني عن سياقه التاريخي والاجتماعي، مما يستدعي في كثير من الأحيان دمجه مع مناهج نقدية أخرى للحصول على قراءة شاملة للعمل الفني. وتتمثل العناصر الرئيسية للتحليل الشكلي في:

أ- البنية التكوينية

- تحليل العلاقات المكانية بين العناصر
- دراسة التوازن البصري وأنماط التوزيع
- تقييم استخدام المساحات السلبية والإيجابية

ب- الخصائص المادية

- تحليل خصائص السطح والملمس
- تقييم تقنيات التنفيذ والأدوات المستخدمة
- دراسة التفاعل بين المواد وتأثيراتها البصرية

ج- العناصر الجمالية

- تحليل نظام الألوان ودرجات التباين
- دراسة الخطوط والأشكال الهندسية
- تقييم تأثير الضوء والظل

3-1-2-النقد الاجتماعي

يأتي النقد الاجتماعي في الفن المعاصر كأداة تحليلية تهدف إلى دراسة وتحليل وتقييم الظواهر والسلوكيات والقيم الاجتماعية ضمن نص أو سياق معيّن، ويهدف هذا النقد إلى كشف نقاط القوة والضعف وإبراز التناقضات والمشكلات في المجتمع،ويمكن أن يتناول النقد الاجتماعي عدة جوانب؛ أبرزها نقد العادات والتقاليد، حيث يتم تسليط الضوء على الممارسات الاجتماعية التقليدية وغيرها من الممارسات،(هاوزر، 2008، صفحة 35) كما أنه يتجاوز ذلك في بعض الأحيان ليشمل تحليل البُنى الاجتماعية، مثل نقد التفاوت الطبقي أو التمييز أو العنصرية،لأجل ذلك ترتبط جميع هذه العناصر ارتباطًا وثيقًا بتقييم الأدوار الاجتماعية، بما في ذلك توزيع الأدوار بين الأفراد والجماعات، الأمر الذي يساعد أيضًا في كشف التناقضات بين القيم المثالية في المجتمع والممارسات الفعلية المتناقضة معها.

3-1-3- السيميولوجيا

بوصفها علم العلامات،فإن السيميولوجيا هي الأخرى تصنف كواحدة من المنهجيات الأساسية في التحليل النقدي للخطاب الفني. تركز هذه الدراسة على العلامات والدلالات الرمزية داخل الأعمال الفنية المعاصرة، حيث تُعتبر هذه العلامات أنظمة دالة تُنتج المعنى في سياقات ثقافية واجتماعية محددة،ويعتمد هذا التحليل على فك الشفرات البصرية أو السمعية أو النصية في الفن المعاصر، سواء كان ذلك في اللوحات التشكيلية أو الأعمال الأدائية، مما يتيح استكشاف طبقات الدلالة الخفية التي تتجاوز المظهر المباشر،وباستخدام أدوات مثل الدال والمدلول (كما وصفها فرديناند دو سوسير) أو العلامة والرمز والأيقونة (كما حددها تشارلز ساندرس بيرس)، يمكن تحليل كيفية استخدام الخطاب الفني للعناصر الجمالية مثل الألوان والأشكال والإيقاعات لنقل رسائل أيديولوجية أو نقدية أو عاطفية. كأن يقوم الناقد السيميولوجي بتفكيك لوحة فنية من خلال دراسة تكرار رموز معينة للكشف عن خطاب مُضمر يتعلق بالقمع أو المقاومة.(تريكي، 2021، صفحة 189)

بهذا، توفر السيميولوجيا إطارًا منهجيًا لفهم الخطاب الفني ليس فقط كمنتج جمالي، بل كنظام دلالي معقد يتفاعل مع المتلقي والسياق التاريخي. وهو ما يعزز إدراكنا لدور الفن المعاصر في تشكيل الوعي الاجتماعي والثقافي.

4-1-3- التحليل النفسي

من جهته، يُقدّم التحليل النفسي إطارًا نظريًا عميقًا لفهم الخطاب الفني من خلال استكشاف العلاقات بين اللاوعي الفردي والجماعي والتمثيلات الجمالية في العمل الفني؛ مستندًا إلى نظريات "سيغموند فرويد" حول الأحلام والكبت والرغبة، وامتدادًا إلى مفاهيم "كارل يونغ" عن النماذج البدائية واللاوعي الجمعي، يسهم هذا المنهج في تفسير الرموز والصور الفنية كتعابير مشفرة عن صراعات نفسية أو رغبات مكبوتة. لهذا وعند متابعة النقد الفني باستخدام هذه الأداة، يمكن ملاحظة أن النقاد في بعض الأحيان يحللون لوحة أو مشهدًا سينمائيًا من خلال البحث عن تكرار عناصر مثل الجسد المشوه أو الأماكن المغلقة، وهي عناصر قد تشير إلى عقد نفسية أو صدمات خفية. كما يدرس التحليل النفسي دور الفنان كـ"عَرَّاف" ينقل هواجس الذات والجماعة عبر الانزياحات الجمالية، مما يجعل الفن وسيطًا بين اللاوعي والواقع، وبذلك، يتجاوز التحليل النفسي القراءة السطحية للعمل الفني ليكشف عن أبعاده الرمزية التي تربط بين الذاتي والاجتماعي، موضحًا كيف تعبر الممارسة الفنية عن التوترات النفسية العميقة وتساهم في تفكيكها أو إعادة تشكيلها بشكل جمالي.(محسن عايد الفضلي و علي الحجيلي، 2010، صفحة 41)

3-1-5- دراسات التلقي

عند ربطها بالفن المعاصر نجد أن دراسات التلقي تُقدم هي الأخرى مدخلاً نقدياً حيوياً لتحليل الخطاب الفني. تركز هذه الدراسات على تفاعل المتلقي مع العمل الفني ودوره الفاعل في إنتاج الدلالة، أين تستند إلى أطر نظرية مثل فن جماليات التلقي (ياوسوآيزر) التي تؤكد أن المعنى لا يوجد في النص الفني نفسه، بل يتشكل من خلال عملية التلقي التي تتأثر بالسياقات التاريخية والثقافية والنفسية.(عبد الحميد، 2001، صفحة 259)لهذا يُقرأ كل عمل فني مهما كان نوعه، وفقاً لـ"أفق التوقعات" الذي يحمله المشاهد، والذي يتأثر بمعارفه السابقة وانتماءاته الأيديولوجية. في هذا السياق، يمكن تحليل كيفية تفاعل الجمهور مع الرموز الفنية أو الانزياحات الجمالية، وكيف تعيد جماعات مختلفة تفسير العمل بناءً على تجاربها الخاصة. وبالتالي، تُظهر دراسات التلقي أن الخطاب الفني ليس مغلقاً، بل هو حوار ديناميكي بين المبدع والعمل والمتلقي، مما يعمق فهمنا لتأثير الفن في تشكيل الوعي الجمعي وإنتاج المعنى المشترك.

3-2- دور الناقد الفني في فهم الخطاب الفني وتفسيره

يتمثل دور الناقد الفني في كونه وسيطًا ثقافيًا ومحللاً متخصصًا يربط بين العمل الفني والجمهور،ويقوم الناقد بتفكيك الخطاب الفني وتفسيره ضمن أطر نظرية وسياقية متعددة حيث لا يقتصر عمله على الوصف الجمالي السطحي؛بل يتضمن تحليل البنى الرمزية والدلالية الكامنة في العمل، مستندًا إلى المناهج النقدية المتنوعة السابقة(السيميولوجيا، والتحليل النفسي، ودراسات التلقي، وغيرها)، كما يحدد الناقد المرجعيات الفكرية والتاريخية للعمل، ويربطها بالسياق الاجتماعي والثقافي الذي نشأ فيه، مما يوسع من آفاق تأويله. بالإضافة إلى ذلك، يلعب الناقد دورًا في كشف الأبعاد الأيديولوجية أو الفلسفية التي قد تكون مضمرة في الخطاب الفني، سواء من خلال الرموز البصرية أو السردية أو الأدائية.(الربيعي، 1988، صفحة 06)

كما يساهم الناقد في تنمية الذائقة الفنية لدى الجمهور، عبر تقديم قراءات معمقة تفتح مسارات جديدة لفهم العمل، وتحدي التفسيرات التقليدية. وبذلك، لا يقتصر دوره على التفسير فحسب بل يتعداه إلى المشاركة في تشكيل الخطاب الفني نفسه، وهذا من خلال الحوار النقدي الذي يثري الحركة الفنية ويطور أدواتها التحليلية. ليصبح بذلك الناقد الفني جسراً بين الإبداع والتلقي وهو ما يُثمن الدور المجتمعي للفن كأداة للتعبير والتغيير.هنا نرى أن دور التحليل النقدي يتجاوز مجرد الفحص السطحي، ليشمل تفكيك العلاقة المعقدة بين الشكل الفني والمضمون، وهذا ما يوضح كيف تساهم التقنيات الجمالية في تشكيل المعنى، كما يكشف عن التفاعل الديناميكي

بين العمل الفني وسياقه التاريخي والاجتماعي. وبالتالي، يتسع فهمنا لدور الفن كمرآة تعكس قضايا المجتمع أو كأداة لتحدي الواقع. لذا، يصبح التحليل النقدي أداة أساسية لفك شفرات الخطاب الفني المعقد، مما يعزز تجربة التلقي ويسلط الضوء على الجوانب الخفية التي قد تغيب عن المشاهد العادي.

- خاتمة

من خلال دراسة موضوع فهم الخطاب الفني في الفن المعاصر، توصلنا إلى مجموعة من النتائج، أبرزها أن الخطاب الفني يمثل نظامًا دلاليًا معقدًا يتفاعل مع السياقات التاريخية والاجتماعية والفلسفية. وهذا ما يجعله أداة حيوية لفهم التحولات الثقافية والإبداعية، كما أن التحليل قد أظهر أن الأعمال الفنية المعاصرة لم تعد تقتصر على القيم الجمالية التقليدية، بل أصبحت تعكس قضايا العولمة والتكنولوجيا والهوية، مستخدمة وسائط متعددة ومفاهيم جديدة. وكشفت الدراسة أيضا عن دور المناهج النقدية في فك شفرات الخطاب الفني، مما يوسع آفاق تفسيره وتأويله. بالإضافة إلى ذلك، تبين أن دور الناقد الفني يتجاوز الوصف إلى التحليل العميق، حيث يصبح وسيطًا بين العمل الفني والمتلقي، مما يعزز الحوار النقدي والذائقة الجمالية.

في الختام، يوصي البحث بضرورة الاستمرار في استكشاف الخطاب الفني كعكس للتحولات الاجتماعية، مع التأكيد على أهمية النقد الفني في تعزيز فهمنا لدور الفن كوسيلة للتغيير والتعبير في العصر الحديث.

- قائمة المصادر والمراجع

1. Murtha, B., Helmreich, A., & Melissa, G. (2019). Digital art history. Visual Resources.
2. Triki, R. (2007). Le régime postcolonial des arts et les usages de la modernité, Rue Descartes 2007/4 n° 58. Tunisie. Récupéré sur https://shs.cairn.info/revue-rue-descartes-2007-4-page-104?lang=fr
3. ارسطو. (2019). فن الشعر. (إبراهيم حمادة، المترجمون) مصر : مكتبة الانجلو مصرية .
4. ارنولد هاوزر. (2008). فاسفة تاريخ الفن. (رمزي عبده جرجس، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

5. الدواي عبد الرزاق. (1992). موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر. بيروت: دار الطليعة.
6. الموسوعة العربية الميسرة. (1987). بيروت: دار نهضة لبنان للطباعة والنشر.
7. حمزه تريكي. (30 03, 2021). الخطوات المنهجية في التحليل السيميولوجي للأعمال الفنية المعاصرة. سيميائيات، الصفحات 187-196.
8. حمزه تريكي. (01 07, 2021). بنية اللوحة التشكيلية المعاصرة وإشكالية التلقي في الجزائر. 244. مستغانم، الجزائر: جامعة عبد الحميد بن باديس.
9. رويذة فيصل موسى. (2021). تاريخ العمارة الرومانية. مجلة كلية التربية الاساسية.
10. سارة ميلز. (2004). الخطاب (المجلد 01). (إسكندر غريب، المترجمون) بيروت: دار الكتب العلمية.
11. سامي منير عامر. (1984). وظيفة الناقد الأدبي. مصر: دار المعارف.
12. سعدية محسن عايد الفضلي، و عبد العزيز علي الحجيلي. (2010). ثقافة الصورة ودورها في تثراء التذوق الفني لدى المتلقي . ام القرى، المملكة العربية السعودية: كلية التربية- قسم التربية الفنية.
13. سعيد إدوارد. (2005). الانسنية والنقد الديموقراطي (المجلد 01). (فوّاز طرابلسي، المترجمون) بيروت: دار الاداب بيروت.
14. سمر محمد فرغلي، و محمد عمران. (2016). الرمزية في الفن الاسترالي الاصلي. مصر، بور سعيد: جامعة بور سعيد.
15. سمير شريف استيتية. (2002). اللغة وسيكولوجية الخطاب (المجلد 01). الاردن: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
16. سيزا قاسم، و أبو زيد نصر حامد. (1986). مدخل الى السيميوطيقا . المغرب : دار الياس العصرية.
17. شاكر عبد الحميد. (2001). التفضيل الجمالي. الكويت: عالم المعرفة.
18. شوكت الربيعي. (1988). الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي 1885-1985. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
19. عاصم محمد رزق. (2000). معجم مصطلحات العمارة والفنون . مصر : مكتبة مدبولي.

20. عزت السيد أحمد. (2013). وظيفة الفن (المجلد 02). عمان: حدوس وإشراقات.
21. عقيل مهدي يونس. (2010). اقنعة الحداثة: دراسة تحليلية في تاريخ الفن المعاصر (المجلد 01). الاردن: دار دجلة.
22. فوكو ميشال. (1987). حفريات المعرفة (المجلد 02). (سالم يفوت، المترجمون) الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
23. لوسي سميث ادوارد. (1995). الحركات الفنية بعد الحرب العالمية الثانية. (فخري خليل، المترجمون) بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
24. ليماري جان. (1987). الانطباعية. (فخري خليل، المترجمون) بغداد: دار المامون للترجمة والنشر.
25. محمد بلاسم، و سلام جبار. (2015). الفن المعاصر أساليبه واتجاهاته (المجلد 01). بغداد: مكتب الفتح.
26. محمد جلوب جبر الكناني، و انس كاظم ياسر. (2018). المتحول التقني في البوب ارت: دراسة في تقنيات الاظهار. مجلة الاكاديمي، الصفحات 04-22.
27. محمد خطيب. (1999). الفكر الاغريقية (المجلد 01). دمشق: منشورات علاء الدين.
28. محمد عناني. (1995). من قضايا الأدب الحديث . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب.
29. محمود امهز. (1981). الفن التشكيلي المعاصر التصوير. بيروت: دار المثلث للتصميم والطباعة والنشر.
30. مسلم أسعد جواد عبد. (30 06, 2015). البوب آرت و تمثلاته في الخزف الأمريكي المعاصر. مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، الصفحات 626-645.
31. يونس جحيش، و عمر بلّوط. (04 06, 2023). مظاهر تأثير فَنّيْ الباروك والروكوكو على الرسومات الجداريّة لقصر أحمد باي بقسنطينة. مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.
32. يونس عيد سعد. (2015). البحث العلمي في الفن والتربية عالم الكتب. القاهرة: عالم الكتب.